المجموعة الشعرية اذ أن « ك » يشير الى اسم الحبيبة دون ذكرها . لم يذكر توفيق قط اسم تلك الحبيبة بل اكتفى بالاشارة اليها فيما بعد بالحرف الانكليزي «K» في « معلقته » .

من هي « كاي » ؟ ان أحد المصادر القليلة عنها هو جبرا ابراهيم جبرا ، صديق توفيق ، والشاعر والروائي وكاتب القصة القصيرة والناقد الادبي والرسام العربي الفلسطيني . وجبرا يكبر توفيق بثلاث سنوات وكان قد تعرف اليه في الكلية العربية في القدس حيث درسا في العام ١٩٣٨ — ١٩٣٩ . وتخرج جبرا من جامعة كيمبردج ثم درّس في فلسطين والعراق مدة من الزمن ليعود في العام ١٩٥٢ لمتابعة الدراسات العليا في جامعة هارفرد حيث عاد فالتقى توفيق وتعرف اليه جديدا . وبعد ذلك عمل جبرا مديرا للشؤون الثقافية في شركة نفط العراق في بغداد ولا زال يحتفظ بمنصبه حتى الان ، وهو منصب أتاح له السفر لمدة خمسة أو ستة أسابيع سنويا الى لندن حيث التقى مرة أخرى توفيق الذي كان يدرس في كيمبردج وبعدها في جامعة لندن . والتقى الاثنان باستمرار في لبنان حيث كان توفيق يقضي صيفه . وكان تبادل الرسائل بينهما مستمرا . يقول جبرا(٨): « كانت كاي تغويه وتعذبه معا ، وتتقن كلا الفنين وتتمتع بهما . ما رأيته في لندن في أواخر الخمسينات ، الا وهو في تباريح غريبة من هذه الفتاة — وهي فنانة تقيم في لندن ، تتشبث به وتغار عليه ، وتعقد عليه لذة الحب بلذائذ من قسوتها السادية لا يستطيع منها فكاكا . تغار عليه حتى من أصدقائه ، فلا تريده أن يراهم ، ولا تريد هي أن تراهم . أسماء صحبه لديها تعاويذ شريرة . يأتيني منهكا ، شاحب الوجه ، محروم النوم ، مهووسا برعب هذا الحب اللذيذ المرير » .

اما المصدر الآخر لمعلوماتنا عن كاي فهو الكاتب والناقد الادبي السوري الاصل رياض نجيب الريس الذي كان يقيم في كيمبردج في العام ١٩٥٦ حيث كان توفيق يدرس . يقول الريس(٩): « لكن « كاي » كانت الهاجس الذي كان يأخذ توفيق صايغ منا كل جمعة في كيمبردج ولا يعيده الينا من لندن الا ليل الاثنين . وكان يعود متعبا منها ، حتى قضت على وتر الحيوية فيه ، فأعطى كل هذا الالم والكثير من ذلك الشعر . وعندما انتقل الى لندن استاذا في جامعتها ، كانت « كاي » بدأت تختفي من حياته ، الا أن عذابه بغرامها تصاعد حتى استوى على وتيرة واحدة من الالم ، اعتادها » .

يتضح من هذه المعلومات الضئيلة ان ذلك كان نوعا غير عادي من الحب . « فكاي » هي تلك الحبيبة السادية التي تحب أن تمتلك حبيبها وتوفيق هو ذلك الحبيب المطيع وربما الماسوكي . ربما كان توفيق مستمتعا بهذه العلاقة الى حد ما . الا انه يبدو بالرغم من ذلك أنه لم يكن سعيدا بهذه العلاقة وثار عليها أخيرا وأنهاها . ثم حاول أن يحرر نفسه من العذاب الناتج عن ذلك عن طريق التعبير المتألم عن تجربة حبه في تلك القصائد التي تضمها مجموعة « القصيدة ك » . لا بد ان عذابه كان عظيما اذ اعترف لجبرا في لندن انه كان يفكر في احدى ليالي ربيع العام ١٩٦٠ بالانتحار . فحاول جبرا جهده اقناع توفيق بالعدول عن مثل هذا العمل الجنوني ودعاه الى مأدبة طعام وشراب سخية في فندق بيرنر على شارع اكسفورد حيث كان يأمل اقناعه بعدم الانتحار عن طريق المنطق والحس المدرك(١٠) . ولا بد ان يكون جهد جبرا قد آتى ثماره فساعد توفيق على التغلب على أزمته وربما لا على رغبته الخفية في الموت ، اذ قال توفيق في مقالة غريبة كتبها فيما بعد بعنوان « أنا .. توفيق صايغ » متذكرا « كاي » وأمه أيضا التي توفيت في العام ١٩٥٠(١١):

مرتين ، في ١٩٥٠ وفي ١٩٦٠ ، كنت على وشك الانتحار دفعة واحدة . آنذاك اجتزت احدى أزمتين في حياتي (لا تضاهيهما الا أزمة الولادة) . في احداهما أقصيت عن النعيم ، وفي الاخرى عن الجحيم ، يتحدثون